

من حق الناس أن يضجروا من الإلحاح على وتر المؤامرة، فهي بالفعل قد تتحول إلى مشجب ينوء بما يعلق عليه، لكن الذهاب إلى الطرف الآخر من المعادلة ونفي المؤامرة باعتبارها وهماً يبتكره الهاربون من مواجهة أنفسهم ونقدها هو مؤامرة أخرى، لأن هذا التصور يبرئ أصحاب الأهداف والاستراتيجيات لمن يسيل لعابهم الذئبي على هذا الوطن أو ذلك.



**خيرى منصور** إن الحد الفاصل بين ما هو ذاتي وموضوعي في أسباب كارثة ما، هو ما يحدد منسوب الخلل وقدر تعلق هذا بالعالم العربي فهو يعيش منذ عقود سجلاً لم ينقطع بين من يعتقدون بأن ما ألم بهذا العالم من أذى هو نتيجة سلسلة من المؤامرات المتعاقبة وبين من يفقون على الشاطئ المقابل لهذه الاطروحة، ولكي نحرر ذهننا من سطوة الثنائيات التي لا تعترف بالبعد الثالث أو بما يسمى المنطقة الرمادية بين الأسود والأبيض، علينا أن نعيد قراءة بعض الأحداث بشكل غير أفقي، فالحروب التي جرت حتى الآن لم تكن بين أطراف معزولة عن العالم، ولا هي مواجهات بالسيوف والرماح والدروع في صحراء نائية.

ثمة تحالفات ومصالح وبالتالي أجنداث قد يكون المخفي منها أعظم. وما ينتأ منها على السطح هو أقل مما يبدو من قمة جبل جليدي غاطس في المحيط.

قد تسمى المؤامرة بغير اسمها المباشر، كأن يقال بأنها تحالف استراتيجي بين هذا الطرف وذاك في المجتمع الدولي، وقد تسمى أيضاً الحراك الدبلوماسي الساخن، لكنها تبقى في النهاية مؤامرة، والفرق بين من يعتقدون بأن هناك مؤامرات تحاك وراء الكواليس بناء على معطيات وحديثات وقرائن، وبين من يغمضون أعينهم ويسلمون أمرهم لأخماس المؤامرات وأساسها، هو كالفرق بين من يعقل ويتوكل ومن يتوكل فقط، تاركاً قطيعه كله وليس ناقته فقط في مهب العواصف.

لم يمر التاريخ الانساني بفترة كان محرراً فيها من الدسائس والمكائد الدولية، وبالتالي التآمر بمختلف تجلياته، لكن ما يحدث أحيانا هو الغلو في التصور، والنفخ بهدف التوسيع والتعظيم لظواهر قد تكون عادية.

ولا ينافس وهم المؤامرة والمبالغة في تصورهما هذه الأيام إلا الوهم الآخر المضاد الذي يسعى إلى حذفها أو تصديرها على أنها ضرب من الخيال السياسي، يلوذ به الضعفاء كي يعفوا أنفسهم من أعباء المسؤولية إزاء ما يجري لهم.

وإذا صح لنا أن نصنف المؤامرات ضمن تراتبية منهجية، فإن أسوأها بل أقساها هي المؤامرات التي يصنعها

الإسنان ضد نفسه، كأن يسلم وعيه لأحلام اليقظة، أو يفرط في استخدام ضمائر الغائب بالطريقة التي وصفها سارتر ذات يوم عندما قال إن المجانين والمرضى النفسيين هم الأكثر استخداماً لـ"أنا" الجماعة أو نائب الفاعل، لأنهم يتصورون بأن هناك اعداء غامضين يصعب الإمساك بهم يلاحقونهم.

والعربي الذي لا يزال يعتقد بأن المؤامرة قائمة على قدم وساق ليس مريضاً نفسياً أو مجنوناً بالمقياس السارترى، انه انسان يدرك بأن ما أصابه من أذى بلغ النخاع ليس بسبب حرب مباشرة مع عدو وله الحق في أن يعطي المؤامرة نصيبها على الأقل في السياسة، باعتبارها فن الممكن، والمجال الحيوي لنظرية الاحتمالات.

إن إصرار البعض على نفي ودحض المؤامرة هو مؤامرة أخرى، لكنها على الذات